

أفق الفهم: العقل والمعنى في رؤية الشيخ الحرالي المراكشي

د. عبد الرحيم مرزوق
أستاذ الدراسات القرآنية بكلية الآداب، الجديدة ـ المغرب

في البدء كانت الكلمة؛ أي كان البحث عن معنى يفسر الإنسان بما يختلج في صدره، وما يحيط به في العالم الخارجي. كان إدراك الوجود، حسًا وعقلاً، وعيًا يتطور بمقتضى علامات ورموز، يعبر بها الإنسان عن ذلك الوعي. وكان الإدراك وعلاقته بالرمز، واللفظ منه، مسألة وجودية ومعرفية، تجلت في إشكالات وأسئلة مقلقة منها: ما العقل؟ وما علاقته بالمعنى؟ وهل العقل يعقل المعنى؟ وهل يعقله على حقيقته؟ وما حدود ما يعقله العقل؟ وهل المعنى كَوْنٌ لا نهاية له، تقيده البنية اللغوية، أم هو صورة ذهنية واسعة لا نحيط بها علما؟ تلك أسئلة بحثها اللغويون والفلاسفة والمفكرون منذ القديم إلى اليوم.

وكان للشيخ الحرالي المراكشي[1] في مسألة العقل والمعنى بحثٌ مختلفٌ، يُنبأ عن آراء خصبة، وأفكار مُبدعة. كانت فكرة المعنى باعثًا

1. هو أبو الحسن علي بن أحمد بن الحسن بن إبراهيم التجيبي المراكشي، الأندلسي، المرسي، الحرالي (نسبة إلى حرالة قرية قرب مرسية). عاش في أيام الدولة الموحدية.



للشيخ على القول في علاقة الإنسان بالوجود، فيما يَحُسّه الإنسان وفيما يَعقله. فكان مفهوم المعنى ينطلق عنده من الخلفية الأنطولوجيا والمعرفية التي تسنده، وينطلق كذلك من الأصول المنهجية، التي سماها بقوانين الفهم(2)، والتي تصل مفهوم المعنى لديه بغيره من المفاهيم. وكان مفهومه للمعنى، وحدوده الخمسة، كما رسمها، منبثقًا من مفهومه للتعقل ومراتبه؛ إذ كان يرى أن التعقل أطوارٌ، وله تعلقٌ بالدراية؛ والدراية هي إدراك للمعنى، أو هي بعبارته «إطلاع يُتأتى إليه الناظرُ المفكرُ بما قُدم إليه في فِطرته ورتبة عقله»(3). ولم يكن وهو يأصل لمسألة العقل والمعنى بمنأى عن المعنى القرآني. كان بحثه في أطوار العقل تمهيدًا للقول في رتب معاني القرآن وجَمْعِ نبأه.

وولد في مراكش، وبها نشأ ودرس على جماعة من العلماء. وكانت مراكش آنذاك العاصمة العلمية للغرب الإسلامي كله. لقي جماعة من الفضلاء شرقا وغربا؛ كان بارعا في علم الكلام والمنطق والطبيعيات والإلهيات وأصول الدين وأصول الفقه وعلم التفسير وأما علم العربية لغة وأدبا ونحوا فقد كان، كما قال الغبريني، متقدما فيه. وكان ـ كما قيل ـ من العجائب في جودة الذهن واستخراج الحقائق. من مؤلفاته: إبداء الخفا في شرح أسماء المصطفى ﷺ، وحقق له الأستاذ محمادي بن عبد السلام الخياطي تراثه في التفسير، المتضمن لأربعة أعمال :**1ـ** مفتاح الباب المقفل لفهم الكتاب المنزل، **2**ـ عروة المفتاح، **3**ـ التوشية والتوفية للمفتاح، **4ـ نصوص من تفسير الحرالي المفقود**. ينظر ترجمته في: **عنوان الدراية في من عرف من العلماء في المائة السابعة ببجاية** للغبريني، ص:143ـ155، **سبك المقال لفك العقال** لابن الطواح، ص:83ـ91، **الإعلام بمن حل مراكش وأغمات من الأعلام** للعباس بن إبراهيم، 100/9ـ111، **شجرة النور الزكية في طبقات المالكية** لمحمد مخلوف، ص:181، **سير أعلام النبلاء** للذهبي، 47/23، **طبقات المفسرين** للداودي، 392/1، **نفح الطيب للمقري**، 392/2. وبتفصيل ينظر: **أبو الحسن الحرالي المراكشي آثاره ومنهجه في التفسير**، محمادي الخياطي، ص:45 وما بعدها.

2. وضع الشيخ الحرالي مجموعة من القواعد في تفسير القرآن، أو قوانين الفهم، كما سماها، تختص بالتطرق إلى فهم القرآن، وتتنزل في فهم القرآن منزلة أصول الفقه في تفهم الأحكام. وكان الشيخ يستعمل مصطلح الفهم بدلا من التفسير أو التأويل، إذ كان يراهما مانعين من الفهم. والفهم كما عرفه في حِكمه هو «الأخذ من إفادة الخطاب من غير حاجة إلى سابق فَسْرٍ، ولا نَظرٍ إلى مُتقدَّم علم سابقٍ، فيأخذ الفاهم من القرآن ما أعطاه القرآن لسماعه إياه على خُلوٍ من عَقْدٍ سابقٍ ولا من مذهبٍ مُتقدم ولا من فَسْرٍ مُتقيد». ومن هاهنا آثرنا أن يكون عنوان هذه الدراسة أفق الفهم بدلا من أفق التأويل، وإن كان الفهم هو أيضا ضرب من التأويل. ينظر: **مفتاح الباب المقفل لفهم القرآن المنزل ومخطوط الحكم**، ورقة [183/ب] نسخة المكتبة الوطنية الفرنسية بباريس رقم:1398.

3. **إبداء الخفا في شرح أسماء المصطفى**، الحرالي، ص:331. طبع مع «**عقد الزبرجد من حروف سيدنا محمد** ﷺ» للشيخ عبد الوهاب الأحمدي، **وفخر الأبرار في بعض ما في اسم سيدنا محمد المختار من الأسرار** للشيخ شمس الدين الخليلي، تحقيق: أحمد فريد المزيدي، دار الكتب العلمية، 1428هـ ـ 2007م.

لقد كان أفق الفهم في بحث العلامة الحرالي واسعَ التصور، عميقًا، بعيدًا غوره إلى ما وراء ذلك مما لا يعلمه إلا الله تعالى. المعنى عنده مترامية حدوده، إلى ما ورائها، بين إحاطتين: عليا هي أنهى ما يعنو إليه القلب، وأخرى دنيا هي أدنى تنزل العقل في إدراك ظاهر الوجود. ومهما أُوتي الإدراك من قوة التفكر والتعقل فليس بمكنته الإمساك بحقيقة المعنى كله.. أما معنى خطاب القرآن فالإحاطة به من المحال.

أولا- الوجود والعقل والقلب والإدراك

الوجود في القرآن الكريم ينقسم إلى عالم الشهادة وعالم الغيب. وهو ما عبر عنه الشيخ الحرالي بظاهر الكون وباطنه. فظاهر الكون موجود الدنيا من السماء والأرض. وباطن الكون موجود الملكوت الذي هو العرش والكرسي[4]. والأوَّل يُعبِر عنه بعالم الملك، والثاني بعالم الملكوت. وهنالك عالم ثالث يٌعبِر عنه بعالم الجبروت، وهو عالم العظمة، ويريد به عالم الأسماء والصفات الإلهية[5].

> كان للشيخ الحرالي المراكشي في مسألة العقل والمعنى بحث مختلف، يُنبئ عن آراء خصبة، وأفكار مُبدعة.

وإذا كان عالم الملكوت وعالم الجبروت هو عالم الغيب، والغيب، كما يقول الحرالي، هو ما غاب عن الحسِّ، ولم يكن عليه عَلَمٌ يَهتدي به العقلُ، فيَحصلُ به العلمُ[6]. فإنَّ الحق تعالى أظهر الكون (عالم الملك).

كتابة دالة على أمره، وجعل في العقل نورًا يقرأ به كتابه[7]. فمن عقل عبرة الكون الظاهر استحق إسماع نبأ الغيب الآتي[8]. إذ «لا عُجمةَ ولا جَمادِيَّةَ بين الكون والمكون، إنما تقع جَمادِيَّةٌ وعُجمةٌ بين آحاد من المقصرين في الكون عن الإدراك التام»[9].

4. إبداء الخفا في شرح أسماء المصطفى، الحرالي، ص:219.
5. ينظر: نصوص من تفسير الحرالي، ص:156، 442، 446، 459. ضمن تراث أبي الحسن الحرالي في التفسير.
6. نصوص من تفسير الحرالي، ص:155.
7. نصوص من تفسير الحرالي، ص:202.
8. نصوص من تفسير الحرالي، ص:308 .
9. نصوص من تفسير الحرالي، ص:256.

وأما ما وراء الكون، فما غَيَّبَ الحقُ تعالى شيئًا إلا وأبدَى عليه عَلَمًا، ليكون في العالم المشهود شَفَّافَ عن العالم الغائب[10]. فما في الأرض صورةٌ إلا ولها في الكرسي مَثَلٌ،فما في العرش إقامته، ففي الكرسي أمثلته، وما في السموات إقامته ففي الأرض صورته، فكان الوجود «مثنى، كما»[11] كان القرآن مثاني: إجمالا وتفصيلا في القرآن، ومدادًا وصورًا في الكون[12].

> الوجود في القرآن الكريم ينقسم إلى عالم الشهادة وعالم الغيب. وهو ما عبر عنه الشيخ الحرالي بظاهر الكون وباطنه.

الوجود كله عند الشيخ الحرالي إنّما هو للإنسان عَلَمٌ للاعتبار منه، لا أنه موجود للاقتناع به، أي الاكتفاء به، وقصر المعرفة به عند حدوده الظاهرة، فالوجود مقصود منه لَحْظُ الحقائق من المخلوقات، ولَحْظُ أمر الله في المشهودات سواء بسواء، فينفذ، اعتبارًا وتَعَرُّفًا، من ظاهر الكون إلى باطنه. العُجمةُ والجَماديَّةُ عند مَن يقرأ الوجود بنور العقل منعدمة، أما مَن وَقف مَذهولاً ضاعت كينونتُه، بعبارة الحرالي الجامعة الدالة «من نظر إلى الأشياء بما هي أشياء، ضاع وقته من الله بقدر نظره إليها»[13].

ثانيا ـ مراتب إدراك الوجود

وإدراك معاني آيات الكتاب المشهود يتفاوت من الحس إلى العقل إلى ما فوق طور العقل. فكان هذا الإدراك، بحسب ذلك التفاوت مراتب أربع، وهي، كما أوضحها الحرالي[14].

المرتبة الأولى؛ ما يُدركه الحِسُّ، وهي أظهر هذه المراتب، وهي آيات الاعتبار البادية لأولي الأبصار، أي الآيات الواضحات المبثوثة في أرجاء الكون المشهود، لأن الخلق

10. نصوص من تفسير الحرالي، ص:252.
11. في السابق 443 «مثنيا لما» والتصحيح من **الفتح القدسي في آية الكرسي**، برهان الدين البقاعي، ص:137. تحقيق: عبد الحكيم الأنيس، دار البحوث للدراسات الإسلامية وإحياء التراث ـ دبي، ط.1، 1422هـ ـ2001م.
12. برهان الدين البقاعي، **الفتح القدسي في آية الكرسي**، ص:443.
13. مخطوط حكم الحرالي، ورقة:182.
14. ينظر تفصيل هذه المراتب في المفتاح، ص:45.



كله إنما هو، كما تقدم، عَلَمٌ للاعتبار منه، لا أنه موجود للاقتناع به. والكفر بهذه الآيات هو «من أسوأ الكفر، لأنه كفر بالآيات التي جعلها الله عَزَّوَجَلَّ عَلَمًا على غيب عهده، وهي ما تُدركه جميع الحواس من السماء والأرض، كما قال تعالى: ﴿وَمِنْ ءَايَٰتِهِۦ خَلْقُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَمَا بَثَّ فِيهِمَا مِن دَآبَّةٍ﴾ (الشورى: 27)»[15].

المرتبة الثانية؛ ما ينال إدراك آيته العقل الأدنى ببداهة نظره، كما في الآية الكريمة ﴿وَسَخَّرَ لَكُمُ ٱلَّيْلَ وَٱلنَّهَارَ وَٱلشَّمْسَ وَٱلْقَمَرَ وَٱلنُّجُومُ مُسَخَّرَٰتٌۢ بِأَمْرِهِۦٓ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَءَايَٰتٍ لِّقَوْمٍ يَعْقِلُونَ﴾ (النحل: 12) جمع الآيات لتعدد وجوهها في مقصد البيان.

المرتبة الثالثة؛ ما يحتاج إلى فكر يُثيره العقلُ الأدنى لشغل الحواس بمنفعته عن التفكر في وجه آيته. كما قال سبحانه وتعالى: ﴿هُوَ ٱلَّذِىٓ أَنزَلَ مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءً لَّكُم مِّنْهُ شَرَابٌ وَمِنْهُ شَجَرٌ فِيهِ تُسِيمُونَ ۝١٠ يُنۢبِتُ لَكُم بِهِ ٱلزَّرْعَ وَٱلزَّيْتُونَ وَٱلنَّخِيلَ وَٱلْأَعْنَٰبَ وَمِن كُلِّ ٱلثَّمَرَٰتِ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَءَايَةً لِّقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ﴾ (النحل: 10 ـ 11). افرد الآية لاستناد كثرته إلى وحدة الماء ابتداء، ووحدة الانتفاع انتهاء.

المرتبة الرابعة؛ ما يُدرك سمعا، لأن الخَلقَ مرئِيٌّ والأمرَ مسموعٌ، وهو ما يُقبل بالإيمان. وكما للعقل الأدنى فكرة تنبني على بداهته، فكذلك للعقل الأعلى فكر ينبني على عَلِيِّ فطرته. وهذا هو العقل الأعلى، وهو اللب الذي يكون عنه التذكر بالأدنى من الخلق للأعلى من الأمر.

تلك مراتب إدراك آيات الكتاب المشهود، وهي، كما هو واضح، آيات كونية «تُضاف وتَتَّسِقُ (في آيات القرآن العظيم) لَمن اتصف بها به إدراك معناها، ويُؤنبُ عليها مَن تقاصر عنها، ويُنفى مَنالُها عن مَن لم يصل إليها»[16]. ولذلك كان لجملة هذه المراتب أضدادٌ يَرِدُ بيانُ القرآن فيه بحسب تقابلها، ويجري معها إفهامه، وما أوصله خفاء المسمع والمرأى إلى القلب هو فقهه، ومن فَقَدَ ذلك وُصفَ سمعُه بالصَّمَمِ، وعينه بالعَمَى، ونُفيَ الفقهُ عن قلبه، ونسب

15. نصوص من تفسير الحرالي، ص:201، 184.

16. المفتاح، ص:45.

إلى البهيمية[17]، ومَن لم تنل فكرتُه أعلامَ ما غاب عنه عيانُه نُفيَ عنه العِلمُ: ﴿ٱلَّذِينَ كَانَتۡ أَعۡيُنُهُمۡ فِي غِطَآءٍ عَن ذِكۡرِي وَكَانُواْ لَا يَسۡتَطِيعُونَ سَمۡعًا﴾ (الكهف: 97)، ﴿لَهُمۡ قُلُوبٞ لَّا يَفۡقَهُونَ بِهَا وَلَهُمۡ أَعۡيُنٞ لَّا يُبۡصِرُونَ بِهَا وَلَهُمۡ ءَاذَانٞ لَّا يَسۡمَعُونَ بِهَآۚ أُوْلَٰٓئِكَ كَٱلۡأَنۡعَٰمِ بَلۡ هُمۡ أَضَلُّۚ أُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلۡغَٰفِلُونَ﴾ (الأعراف: 179)[18].

ثالثا. العقل

يأتي مفهوم العقل في نصوص الفكر الإسلامي تارة بمعنى الغريزة التي ينال به العلم، وتارة أخرى بمعنى الفعل المحصل للعلم، وتارة ثالثة هو جوهر قائم بنفسه مفارق، لا يوصف بحركة ولا سكون ولا تتجدد له أحوال ألبتة[19].

ومذهب الشيخ الحرالي أن العقل نور من نور الله تعالى[20]، بل العقل هو أحد النورين، إذ «أعطى الله سبحانه عباده نورين من نوره: نورًا في عيونهم وحواسهم، به استبصروا المحسوسات ﴿أَوَلَمۡ يَرَوۡاْ إِلَى ٱلطَّيۡرِ فَوۡقَهُمۡ صَٰٓفَّٰتٖ﴾ (الملك: 20)، ﴿أَفَلَا يَنظُرُونَ إِلَى ٱلۡإِبِلِ كَيۡفَ خُلِقَتۡ﴾ (الغاشية: 17) ونورًا في القلوب به أبصروا المعقولات، وما وراء المعقولات من المتيقنات ﴿وَلَٰكِن جَعَلۡنَٰهُ نُورٗا نَّهۡدِي بِهِۦ مَن نَّشَآءُ مِنۡ عِبَادِنَا﴾ (الشورى: 49)، ﴿يَهۡدِي ٱللَّهُ لِنُورِهِۦ مَن يَشَآءُ﴾ (النور: 35)، «مؤمن نور الإيمان قلبه»[21]. فبالنور المحسوس الظاهر يقع الاعتبار. وبالنور الباطن

17. وإنما نسب الإنسان هاهنا إلى البهيمية، لأنه كفر بالآيات التي جعلها الله عَزَّوَجَلَّ عَلَمًا على غيب عهده، فكان إدراكه الحسي قد تنزل عن مستوى العقل الأدنى، حيث كان العقل الأدنى، كما سيأتي، هو أعلى حد مسافة مدرك الحواس.

18. **المفتاح**، ص:48.

19. ينظر **العقل وفهم القرآن**، للحارث المحاسبي، ص:201ـ208، تحقيق: حسين القواتلي، دار الفكر، ط.3، 1403هـ ـ1983م. **إحياء علوم الدين**، تحقيق: سيد عمران، دار الحديث ـ القاهرة، 1425هـ ـ 2004م، 116/1. **معيار العلم**، شرح: أحمد شمس الدين، دار الكتب العلمية ـ بيروت، ط.1، 1410هـ ـ 1990م، ص:275ـ282. **فتاوى ابن تيمية**، 273/9ـ305.

20. **نصوص من تفسير الحرالي**، ص:202، 304.

21. جزء من حديث حارثة المشتهر على ألسنة المعاصرين. أخرجه البزار في البحر الزخار المعروف بمسند البزار، رقم: 6948، 333/13. قال الهيتمي في **مجمع الزوائد**: «رواه البزار، وفيه يوسف

المعقول يحصل نور العلم. وعند حصول هذين النورين يحصل بالمحسوس الإسلام، وبالمعقول الإيمان، وبشفع هذين النورين وِترُ كمالٍ، نورٌ يفيضه الله من نور القلب إلى نور العين، فيشهد ما عقل انتهاء، كما قد عقل ابتداء، فيصير العلمُ الثابت في محل الإيمان شهودًا في مقام العيان. «الإحسانُ أن تعبدَ اللهَ كأنك تَراه»[22].

والقول بأن العقل نور هو مذهب قوم، كما ذكر ذلك الحارث المحاسبي، قالوا: هو نور وضعه الله طبعًا وغريزةً، يُبصَرُ به، ويُعبَّرُ به. نور في القلب كالنور في العين، وهو البصر. فالعقل نور في القلب، والبصر نور في العين[23]؛ وهو كذلك مذهب الغزالي، وعلى هذا المعنى أدار رسالته مِشكاة الأنوار، يقول رحمه الله تعالى: «العقل أولى بأن يسمى نورًا من العين الظاهرة لرفعة قدره عن النقائص السبع»[24].

الحس والعقل هما مصدرا العلم والمعرفة، و«هما أظهر حجج الله على خلقه»[25]. والحس هو أدنى مراتب الإدراك، إذ «الحواس، كما يقول الحرالي، هي تنزل العقل في إدراك ظاهر الوجود»[26]. والعقل نور «وفي كلِّ نورٍ نقصٌ عن غايةِ إظلامٍ بحسب ما بقي عليه من إظهار الباديات. وبذلك ظهر فضل نور العقل على نور الحس، لقصور الحس في مداه، وبيته عن مُطار منتهى العقل»[27].

> الوجود كله عندالشيخ الحرالي إنّما هو للإنسان عَلَمٌ للاعتبار منه، لا أنه موجود للاقتناع به، أي الاكتفاء به.

بن عطية لا يحتج به»، رقم:190، 57/1. وقال الذهبي في ترجمته في **ميزان الاعتدال**: «مجمع على ضعفه»، فالحديث ضعيف، رقم: 9877، 468/4.

22. شرح أسماء الله الحسنى للحرالي ورقة [89/ب]، و [90/أ]، نسخة مودعة على موقع ودود للمخطوطات. والحديث في صحيح البخاري، كتاب تفسير القرآن، باب: قوله: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ عِندَهُۥ عِلْمُ ٱلسَّاعَةِ﴾ (سورة لقمان: 33)، حديث رقم: 4777.
23. الحارث المحاسبي، **العقل وفهم القرآن**، ص:204.
24. الغزالي، **مشكاة الأنوار**، ضمن مجموعة رسائل الإمام الغزالي، دار الكتب العلمية ـ بيروت، 1406هـ ـ 1986م، ص:8. وينظر: **معيار العلم**، ص:31.
25. **نصوص من تفسير الحرالي**، ص:265.
26. **اللمحة في معرفة معاني الحروف** ورقة [17/ب]، نسخة المكتبة الوطنية الفرنسية بباريس، رقم:1398.
27. **شرح أسماء الله الحسنى الحرالي**، ورقة [87/ب].



لقد جاء خطاب القرآن منبها الحس والعقل معا على النظر في الآيات المبثوثة في آفاق الكون الظاهر. من ذلك أن الله تعالى لَمَّا وَصَل بدعوة الربوبية، ذِكْرَ الخلق والرزق، وذِكْرَ الأرض بأنها فراشٌ والسماءِ بأنها بناءٌ، على عادة العرب في رتبة حسٍّ ظاهرٍ، وذلك في الآية الكريمة ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱعْبُدُواْ رَبَّكُمُ ٱلذِے خَلَقَكُمْ وَالذِينَ مِن قَبْلِكُمْ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ ۝٢٠ ٱلذِے جَعَلَ لَكُمُ ٱلْاَرْضَ فِرَٰشاً وَالسَّمَآءَ بِنَآءً وَأَنزَلَ مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءً فَأَخْرَجَ بِهِۦ مِنَ ٱلثَّمَرَٰتِ رِزْقاً لَّكُمْ فَلَا تَجْعَلُواْ لِلهِ أَندَاداً وَأَنتُمْ تَعْلَمُونَ﴾ (البقرة: 20ـ 21) أعلاهم في خطاب ﴿إِنَّ فِے خَلْقِ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَالْاَرْضِ وَاخْتِلَٰفِ اِ۬ليْلِ وَالنَّهارِ وَالْفُلْكِ اِ۬لتِے تَجْرِے فِے اِ۬لْبَحْرِ بِمَا يَنفَعُ اُ۬لنَّاسَ﴾ (البقرة: 163) بإيراد آياته وشواهده على علو رتبة معنى معقول فوق رتبة الأمر المحسوس السابق فقال ﴿إِنَّ فِے خَلْقِ اِ۬لسَّمَٰوَٰتِ وَالْاَرْضِ﴾ خطابا مع مَن له نظر عقلي، يزيد على نظر الحس باعتبار السموات وأفلاكها، وعددها بشواهد نجومها، حتى يتعرف أنها سموات معدودة، وذلك مما يظهر موقعه عند مَن له اعتبار في مخلوق السموات، ولما لم يكن للأرضين شواهد محسوسة بعددها، كما في السموات، لم يجر ذكرها في القرآن إلا مفردة، وجاء ذكر السموات معددة لأهل النظر العقلي، ومفردة لأهل النظر الحسي[28].

> مذهب الشيخ الحرالي أن العقل نور من نور الله تعالى، بل العقل هو أحد النورين.

رابعا. القلب

والظاهر أن مفهوم العقل، والذي هو نور في القلب، مفهومٌ واسعٌ يشمل العقل وما فوق طور العقل. وإذا كان العقل تقتصر وظيفته على إبصار المعقولات، فإن القلب يبصر ما وراء المعقولات. وبذلك كان «القلب هو القوة التي وراء طور العقل»[29]. إذ القلب مبدأ كيان الشيء من غيب قِوامه، فيكون تغيرُ كَونِه بحسب تقلب قلبه في الانتهاء، ويكون تطوره وتكامله بحسب مدده في الابتداء والنهاء[30].

28. نصوص من تفسير الحرالي، ص:299.

29. الفتوحات المكية، تحقيق: عثمان يحيى، الهيئة المصرية العامة للكتاب، 1405هـ ـ 1985م، 323/4.

30. نصوص من تفسير الحرالي، ص:158.

العقل عند الشيخ الحرالي أطوارٌ، **طورٌ** يبصر المعقولات، **وطورٌ** آخر يبصر ما وراء المعقولات من اليقينيات. **والطور الثاني**، الذي هو القلب، يتضمن الأول، ويتجاوزه، إذ العقل يتنامى «بنور العلم والحكمة الذي أُخِذ سمعًا عند تقرر الإيمان. وعند هذا الحد يتنامى العقل إلى فطرة الأَشُدِّ، وتعلو بداهته، ويترقى فكره إلى نظر ما يكون آية في نفس الناظر، لأن مُحار[31] غيب الكون يُرد إلى وجدان نفس الناظر[32].

أن يترقى الفكر إلى نظر ما يكون آية في نفس الناظر، معناه أن يُحصلَ القلبُ معرفةً ذوقيةً تستمر في إدراك المعاني. وبيان ذلك، كما يقول ابن عربي، هو أن الفكر سُلَّم القلب، فإنْ رُقي به إلى الظاهر انقطع؛ لأن حدَّه الأجسام والفاني، وإنْ رُقي به إلى الباطن فلا حدَّ له، بل يستمر في إدراك المعاني، ويوصله إلى كل أوّل قطعه للثاني[33]. بعبارة الحرالي للقلب أسنانٌ في رتب اطلاعه، كما أن للجسم أسنانًا في أطوار طلوعه[34]. منهاج ترقي الفكر إلى نظر ما يكون آية في نفس الناظر هو أسنان القلوب[35]؛ وهو مصطلح أراد به الحرالي ترقي فكر الإنسان من النظر العقلي إلى رتبة الإيمان إلى حد الإيقان. وذلك عند حصول النور المحسوس الظاهر والنور الباطن المعقول، فيحصل بالمحسوس، كما تقدم، الإسلام، وبالمعقول الإيمان، وبشفع هذين النورين وِترُ كمالٍ، نورٌ يفيضه الله من

---

31. في مفتاح الباب المقفل لفهم القرآن المنزل، ص:46. «مجاز» والصواب ما أثبتناه كما هو في نسخة المكتبة الوطنية الفرنسية بباريس رقم:1398، ورقة [130/ب] والتي اعتمدها المحقق. وكما هو كذلك في نسخة مركز ودود www.Wdod.org ضمن مجموع يضم كذلك المفتاح وعروة المفتاح والتوشية والتوفية. وكما هو كذلك في **نظم الدرر للبقاعي**، 202/11، وهو المنسجم مع سياق الكلام، وينظر في بيان ذلك: **اللمحة في معرفة معاني الحروف**، ورقة [16/ ب].

32. مفتاح الباب، ص:46.

33. ابن عربي، **شجون المجسون وفنون المفتون**، تحقيق: الدكتور علي إبراهيم كردي، دار سعد الدين ـ دمشق، ط.2، 1426هـ ـ 2005م، ص:59.

34. **إبداء الخفا في شرح أسماء المصطفى**، ص:330.

35. يقصد الحرالي بمصطلح أسنان القلوب درجات الإيمان التي يترقى فيها الإنسان باعتباره إنسانا إلى درجة الموقن إلى ما لانهاية له، وهي درجات سبع، وهي: سن الإنسان، ثم سن الناس، ثم سن الذين آمنوا، ثم سن الذين يؤمنون، ثم سن المؤمنين، ثم سن المؤمنين حقا، ثم سن المحسنين، هذه أسنان سبعة خطاباتها مترتبة بعضها فوق بعض، ومن وراء ذلك أسنان فوقها، من سن الموقنين، وما وراء ذلك إلى أحوال أثناء هذه الأسنان. ينظر تفصيل ذلك في: **المفتاح**، ص:34ـ36.

نور القلب إلى نور العين، فيشهد ما عقل انتهاء، كما قد عقل ابتداء، فيصير العلمُ الثابت في محل الإيمان شهودًا في مقام العيان.

والقلب هو الذي فيه جلاء الأمر وبيانه[36]، ففي سورة يس، مثلا، إذهاب الاعتداد بما اسْتَولى عليه الخلقُ من العِلم فيما يُشير إليه آية ﴿سُبۡحَٰنَ ٱلَّذِي خَلَقَ ٱلۡأَزۡوَٰجَ كُلَّهَا﴾ إلى قوله: ﴿وَمِمَّا لَا يَعۡلَمُونَ﴾ (يس: 35)، أنبأ تعالى فيها بوجود زَوْجٍ لا ينالهُ العلمُ. وما تَعْنُو إليه هذه الآيةُ من مَرجع هذا الزَّوْجِ، الذي فات العلم، الذي فوق طور العقل، فهو أبعَدُ مَنالاً عن العِلم، الذي هو ثانٍ عن العقل وثمرَةٌ منه.... ولمّا وقعت الإشارةُ إلى هذا الأمرِ، الذي الاسمُ الأعظمُ آيتُه في هذه السورة، جُلِيَ فيها مُنْبَهِماتُ العلمِ بما يُوجبه القلبُ من قلب الأمرِ بَطْنًا لظَهْرٍ، وظَهْرًا لبَطنٍ، كما هو عملُ القلبِ، الذي تَنقلِبُ فيه الظواهرُ بواطنًا، والبواطنُ ظواهرًا، وتَرْجعُ فيه أوائلُ الأمور على أواخِرِها، وأواخرُها على أوائلِها، فتَنجَلي فيه وتتبيَّن أصلُها هو قلبٌ، لأنه مَوطنُ إدراكِ حقيقةِ ما يُشير إليه قوله تعالى: ﴿يُعَذِّبُ مَن يَشَآءُ وَيَرۡحَمُ مَن يَشَآءُۖ وَإِلَيۡهِ تُقۡلَبُونَ﴾ (العنكبوت: 20) ومتى اقتُطِع القلبُ دون ذلك، كان مُقفلاً، بحسَب شِدَّةِ اقتطاعه عن ذلك، وقلبُ كل شيء ما منه مبدأ أمره، وإليه عودُ غايته[37].

إن القلب يعقل، ولأمر ما كان القلب هو القوة الإدراكية التي فوق طور العقل. وكان قوله تعالى: ﴿لَهُمۡ قُلُوبٞ يَعۡقِلُونَ بِهَآ﴾ (الحج: 44)، كما في تفسير الرازي، كالدلالة على أن القلب آلة لهذا التعقل، فوجب جعل القلب محلا للتعقل[38]. ومن هاهنا كان نور العلم يَحصُل، في نظر الحرالي، بالنور الباطن المعقول.

وتتجلى أطوار العقل في معانيه الأربعة، كما يراها الشيخ الحرالي، وهي:

1 ـ العقل الأدنى وهو أعلى حد مسافة مدرك الحواس[39]، والحواس، كما تقدم، هي تنزل العقل في إدراك ظاهر الوجود.

36. **اللمحة في معرفة الحروف**، ورقة [105/ أ].
37. **اللمحة في معرفة الحروف**، ورقة [105/أ] ، أو [105/ب].
38. **مفاتيح الغيب**، دار الفكر، ط.1، 1401هــ1981م، 46/23.
39. لحد مسافة مدرك الحواس أعلى وأدنى، كما سيأتي بيانه.

2 ـ العقل هو إدرك حقائق ما نال الحس ظاهره[40]؛ وهو **العقل المجرد** أو **النظري**، أو هو **ظاهر العقل**، كما يسميه الحرالي.

3 ـ العقل هو المسمى نُهى، لمنعه عما تهوى إليه النفس مما يَستَبْصِرُ فيه النّهيَ[41]؛ وهو **العقل العملي**.

4 ـ **العقل الأعلى** وهو اللب الذي يكون عنه التذكر بالأدنى من الخلق للأعلى من الأمر[42]؛ وهو «باطن العقل الذي شأنه أن يلحظ أمر الله في المشهودات، كما أن شأن ظاهر العقل أن يلحظ الحقائق من المخلوقات»[43]؛ وهو القلب الذي هو القوة التي وراء طور العقل.

وليست هذه الأطوار مستقل بعضها عن بعض، وإنما هي أطوارُ ترقي التعقل من العقل الأدنى إلى العقل الأعلى، في وحدة تكامل أوصاف الإنسان وتداخل أفعاله، وذلك حين يمتزج النظر العقلي بالإيمان والإيقان، أي حين يعقل العقل أمر الله في المشهودات، كما كان قد عقل الحقائق من المخلوقات.

> العقل عند الشيخ الحرالي أطوارٌ، طورٌ يبصر المعقولات، وطورٌ آخر يبصر ما وراء المعقولات من اليقينيات.

خامسا ـ مفهوم المعنى

عُرِّف المعنى في تراثنا العربي بتعاريف كثيرة، كان أشهرها تعريفا الرازي وحازم القرطاجني. يقول الرازي: «والمعنى هو اسم للصورة الذهنية لا للموجودات الخارجية، لأن المعنى عبارة عن الشيء الذي عناه العاني وقصده القاصد، وذلك بالذات هو الأمور الذهنية، وبالعرض الأشياء الخارجية، فإذا قيل: أن القائل أراد بهذا اللفظ هذا المعنى، فالمراد أنه قصد بذكر ذلك اللفظ تعريف ذلك الأمر المتصور»[44].

40. نصوص من تفسير الحرالي، ص: 207.
41. نصوص من تفسير الحرالي، ص: 364.
42. المفتاح، ص: 47.
43. نصوص من تفسير الحرالي، ص: 331.
44. تفسير الرازي، (المسألة 39 في المعنى)، 20/1.

ويعرف حازم القرطاجني المعنى فيقول: «إن المعاني هي الصور الحاصلة في الأذهان عن الأشياء الموجودة في الأعيان. فكل شيءٍ له وجود خارج الذهن، فإنه إذا أدرك حصلت له صورة في الذهن تطابق لِما أدرك منه، فإذا عبّر عن تلك الصورة الذهنية الحاصلة عن الإدراك، أقام اللفظُ والمعبّرُ به هيئة تلك الصورة الذهنية في أفهام السامعين وأذهانهم. فصار للمعنى وجود آخر من جهة دلالة الألفاظ»(45).

مفهوم المعنى عند الحرالي يرتبط بالعقل ومراتبه في الإدراك.

فمدلول المعنى في نصي الرازي وحازم، هو الصورة الذهنية التي وضعت بإزائها الألفاظ، تتداولها العقول جميعًا والناس فيها سواء، ولا فضل فيها لأحد على أحد؛ لأنها مشتركة.

ويعرف الشيخ الحرالي المعنى بقوله: «والمعنى مسلك العقل بالعلم فيما بين باب مدلول الاسم إلى غاية الحقيقة التي هي أقصى منال العقل، والعلم من ذلك الأمر»(46).

يندرج هذا التعريف في علم اللغة الحديث ضمن النظرية التصورية التي «تركز على الأفكار أو التصورات الموجودة في عقول المتكلمين والسامعين بقصد تحديد معنى الكلمة، أو ما يعنيه المتكلم بكلمة استعملها في مناسبة معينة، سواء اعتبرنا معنى الكلمة هو الفكرة أو الصورة الذهنية أو اعتبرناه العلاقة بين الرمز والفكرة»(47).

ومن الواضح أن مفهوم المعنى عند الحرالي يرتبط بالعقل ومراتبه في الإدراك، أما عناصره، فهي:

- **الشيء المدرك**؛ وهو إما حسي أو معنوي، وهو المعبر عنه «فيما بين باب مدلول الاسم إلى غاية الحقيقة التي هي أقصى منال العقل».
- **والصورة الذهنية**؛ أو مدلول الاسم، وهو المعبر عنه «بالعلم».
- **والاسم أو اللفظ**؛ وهو ما يُفهم بمفهوم المخالفة من «مدلول الاسم».

---

45. حازم القرطاجني، **منهاج البلغاء وسراج الأدباء**، تحقيق: محمد الحبيب بن الخوجة، ص:18، 19.
46. الحرالي، **الحكم**، ورقة [183/ب].
47. أحمد مختار عمر، **علم الدلالة**، ص:58.

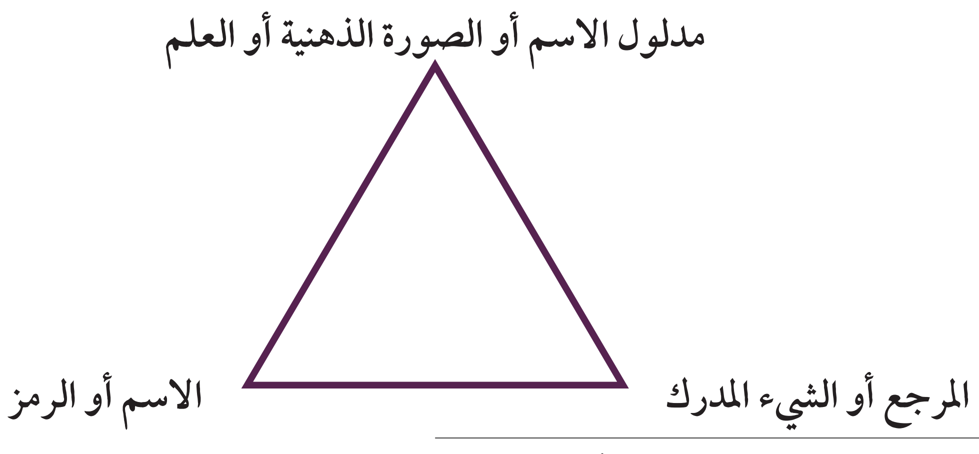


وهو بذلك تعريف يشمل مراتب وجود الشيء، إذ الشيء له في الوجود، كما بين الغزالي، أربع مراتب، **الأولى**؛ حقيقته في نفسه، **الثانية**؛ ثبوت مثال حقيقته في الذهن، وهو الذي يعبر عنه بالعلم، **الثالثة**؛ تأليف مثاله بصوت وحروف، تدل عليه، وهو العبارة الدالة على المثال الذي في النفس، **الرابعة**؛ تأليف رقوم تدرك بحاسة البصر دالة على اللفظ، وهو الكتابة[48].

وأما قول الحرالي في التعريف «والعلم من ذلك الأمر» فمعناه، كما بينه، أن «العلم ثان عن العقل وثمرة عنه»[49]؛ وهو ما أفصح عنه الغزالي بقوله: «والعقل منبع العلم ومطلعه وأساسه، والعلم منه مجرى الثمرة من الشجرة»[50].

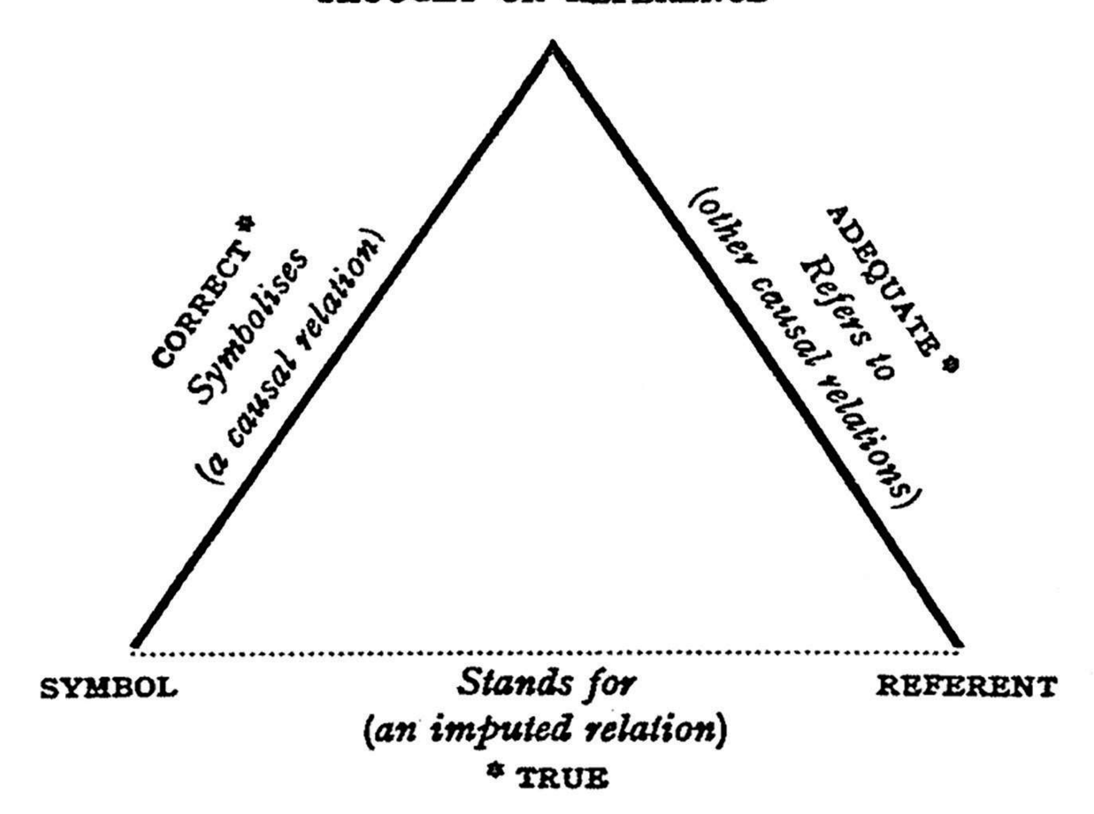
وأصل هذا المفهوم للمعنى عند الشيخ الآية الكريمة ﴿وَعَلَّمَ ءَادَمَ ٱلۡأَسۡمَآءَ كُلَّهَا﴾ (البقرة: 30) حيث كان آدم عليمًا بالأسماء، وكانت الملائكة مخبرين بها لا معلميها، لأنهلا يتعلمها من آدم إلا مَن خَلْقُه مُحيطٌ كخلق آدم. فلكل شيءٍ عند آدم ـ بما علمه الله وأظهر له علاماته في استبصاره الشيء ـ اسمان جامعان: اسم يُبصره من موجود الشيء، واسم يُذكِّره لإبداء معنى ذلك الشيء إلى غاية حقيقته[51].

ويمكن أن نتبين مفهوم المعنى عند الحرالي من المثلث الدلالي الآتي:



48. الغزالي، **المستصفى من علم الأصول**، 65/1، تحقيق: حمزة بن زهير حافظ، شركة المدينة المنورة للطباعة، وينظر: **معيار العلم**، ص:47.
49. **اللمحة في معرفة الحروف الحرالي**، ورقة [105/ب].
50. **إحياء علوم الدين**، 112/1. يقول كانط: «فمتى آمنا بالعلم آمنا بالعقل حتما، لأنه هو الذي يحيل التجربة الجزئية الحادثة إلى قضية كلية ضرورية». يوسف كرم، **العقل والوجود**، مكتبة النافذة، ط.1، 2015م، ص:81.
51. **نصوص من تفسير الحرالي**، ص:192.

كما يمكن أن نقرأ تعريف الحرالي للمعنى في ضوء المثلث الدلالي، الذي اشتهر عن أوجدن Ogden وريتشاردز Richards والذي يأخذ الشكل التالي:



• مرجع رمز:

والنقطة الجوهرية في مثلث أوجدن وريتشاردز «هي، كما يقول ستيفن أولمان Stephen Ullmann أنه ليست هناك علاقة مباشرة بين الكلمات والأشياء. ومن ثم وضعت النقط لتدل على «علاقة مفترضة»، إذ لا يوجد طريق مباشر قصير بين الكلمات وبين الأشياء التي تدل عليها هذه الكلمات. فالدورة يجب أن تبدأ عن طريق الفكرة أو الرمز الذهني، أي عن طريق المحتوى العقلي، الذي تستدعيه الكلمة، والذي يرتبط بالشيء»[52].

52. ستيفن أولمان، **دورالكلمة في اللغة**، ترجمة: الدكتور محمد كمال بشر، مكتبة الشباب، 1975م، ص:64. وينظر: **علم الدلالة في إطار جديد**، ف.ر. بالمر F.R. Plmer، ترجمة: صبري إبراهيم السيد، دار المعرفة الجامعية، 1995م، ص:47.

وهكذا يرى أولمان، بعد إبعاده عنصر (الشيء أو المرجع)، أن العلاقة التي يجب التركيز عليها في مثلث أوجدن وريتشاردز هي علاقة اللفظ (الرمز) والمدلول (الفكرة أو الصورة الذهنية)، وهي علاقة متبادلة، يستدعي فيها اللفظ المدلول، والمدلول اللفظ؛ وهذه العلاقة هي ما يصطلح عليه بالمعنى. فالمعنى في تصور أولمان هو علاقة متبادلة بين اللفظ والمدلول، علاقة تمكن كل واحد منهما من استدعاء الآخر[53].

وهذا الذي انتهى إليه أولمان قريب من مفهوم المعنى عند الحرالي. لقد كان مفهوم الحرالي للمعنى يركز هو الآخر على الإدراك العقلي الذي يوجد العلاقة بين اللفظ والمدلول، إذ المعنى له ارتباط باللغة إفرادًا وتركيبًا ونصًا، وله في آن ارتباط بمدارك العقل، وهو ما عبر الحرالي عنه بقوله أنَّ مدلولات الكَلِم تُتَعَلَمُ بأنْ يُشارَ إلى ما وقع منها في العِيان، ويُلمَحَ ما تحقَّقَ منها في الأذهان، ويُطْمَحَ بالقلوب إلى ما يُلْحظُ منها بالإيمان[54].

> العقل مهما سما في إدراكه، ومهما حلق بعيدًا في عوالم تصوراته، فإنه مرهون بقيد الفكر.

ولكن ما ينفرد به مفهوم الحرالي للمعنى هو أن لا حدود في التصور فيما بين باب مدلول اللفظ (الاسم) إلى غاية الحقيقة التي هي مطمح إدراك العقل، وهو المعبر عنه بقوله السابق «ويُطْمَحَ بالقلوب إلى ما يُلْحظُ منها بالإيمان»، فلم يكن المعنى مجرد عملية من عمليات الربط الذهني، التي تُمَكِنُ كلٍّ من اللفظ والمدلول من استدعاء أحدهما الآخر، بل إضافة إلى ذلك هو أيضا ما يلمحه القلب من معنى، أبعد مَنالاً عن العلم، الذي هو ثان عن العقل وثمرة منه.

سادسا. حدود العقل أم حدود المعنى

والعقل مهما سما في إدراكه، ومهما حلق بعيدًا في عوالم تصوراته، فإنه مرهون بقيد الفكر، «فإن العقل لا يقبل إلا ما علمه بديهةً، أو ما أعطاه الفكر»[55]؛ فهو أي العقل «أشد قصورًا وأعظم عجزًا، فهو يتخيل أنه في اليقين وليس كذلك، وأيضا في القطع،

53. ستيفن أولمان، **دور الكلمة في اللغة**، ص:65.

54. **اللمحة في معرفة الحروف**، ورقة [17/أ].

55. ابن عربي، **الفتوحات المكية**، تحقيق: يحيى عثمان، 100/2.

أي يقطع بما عنده، ويقول إنه الحق اليقين، والعلم الذي لا يمكن غيره. وربما يبقى زمنا طويلا يعتقد في الشيء أنه كذا، ثم يتبين له بعد مدة بعلامة أخرى تكون عنده أن ذلك الأمر على خلاف ما كان يعتقده، وأن ذلك الذي يسميه علمًا يقينًيا حقًا كان غالطًا فيه، وكان جهلاً محضًا»[56].

ولكن المعتزلة أَعْلَتْ من قدر العقل، واعتقدت في إسراف، أنه البرهان القاطع، والدليل الذي لا يتطرق إليه الاحتمال، لذا حكموه في كل شيء، فأخضعوا له العقائد الدينية، «فلم يحفلوا بأساليب إدراك الحقيقة إذا كانت لا تقبل التصور، وأرجعوا الدين إلى نسق من المعاني المنطقية انتهى إلى موقف سلبي بحث، وغاب عنهم أنه في ميدان المعرفة ـ علمية كانت أو دينية ـ لا يمكن للفكر أن يستقل تمام الاستقلال عن الواقع المتحقق في عالم التجربة[57].

> الإدراك العقلي عند الشيخ الحرالي، هو نور من الحق سبحانه.

كما غاب عن المعتزلة كذلك أن العقل يضع لنفسه حدودًا، وذلك «معناه، إما أنه يفتخر ويعتز بقوته على أنه غير محتاج إلى غيره كي يضع له حدودًا، ويبين له موطنًا لا يبرحه، وإما أنه بقوة تعقله وليس تفكيره انتهى إلى الاعتراف بعجزه، ومن ثم استعداده كي يعتبر الحقائق التي تأتي من طور فوق طوره»[58].

وقد ألمح الشيخ الحرالي إلى مغالاة المعتزلة في اعتدادهم المطلق بالعقل في مجال إدراك معاني القرآن، ورأى أن ذلك كان من حجب فهمهم القرآن الكريم. قال رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «وقوم منعهم من فهمه سابق أراء عقلية انتحلوها، ومذاهب أحكامية عقليه تمذهبوا بها، فإذا سمعوه تأولوه لما عندهم، فيحاولون أن يتبعهم القرآن، لا أن يكونوا هم يتبعونه، وإنما يفهمه من تفرغ من كل ما سواه»[59].

56. ابن عربي، **كتاب اليقين**، ضمن من رسائل ابن عربي، تحقيق: عبد الرحمن حسن محمود، عالم الفكر، 1996م، ص:21.

57. محمد إقبال، **تجديد التفكير الديني في الإسلام**، ترجمة: عباس محمود، مطبعة لجنة التأليف والترجمة والنشر ـ القاهرة، ط.2، 1968م، ص:10.

58. أحمد الصادقي، **إشكالية العقل والوجود في فكر ابن عربي**، دار المدار الإسلامي ـ بيروت، ط.1، 2010م، ص:226.

59. **مفتاح الباب**، ص:28.



كان الشيخ الحرالي يرى أن «المعقول وما فيه إقباسٌ من الله، وإراءةٌ من أمر الله، مَن تقيد به واعتقده لا ينفك نسبة الحد في الطبع، واحتاج إلى ملجأ فتن التأويل في غيب الشرع، وكل ما سوى الحق موضوع، مُعْطَى حَظًّا واحدًا، يَنال ما أعطى، ويَعجز عمَّا فوقه. للعقول حد تقف عنده لا تتعداه، فلذلك جعلها تعالى طوائر يقهرها قفص الصورة وتمام التسوية، ويظهر تماسكها نفخ الروح»[60].

ولا يفهم من فكرة حدود العقل عند الحرالي معادته للعقل أو التنقيص من قدره، إنما تشير إلى محدودية العقل المجرد فحسب، وإلا فإن «العقل إنارة الفرقان بين العبد وربه في أن لا يشبهه ولا يُماثله»[61]. فضلا عن أن الإدراك العقلي في تصور الشيخ مفتوح الآفاق، ومتسع الرحاب، «وكأن العقل متسع الباطن، بمنزلة اتساع النور في كلية الكون علوًا وسفلاً»[62].

إن العقل المجرد «يلحظ بعض معان توجد تارة في مادة وتارة في غير المادة، كالجوهر والعرض، والكيفية، والإضافة، والقوة، والفعل، والكلي، والجزئي، والعلة، والمعلول، والغاية، والوسيلة، فيعلم العقل أنها تلحق الموجود من حيث هو موجود لا من حيث هو جسم طبيعي أو رياضي، ويحصل بذلك على موضوعات ما بعد الطبيعة[63]. وقيمة هذه المعاني المدرَكة في الطبيعة وما ورائها تنحصر في التصورات والأفكار التي تنال بهذا الإدراك، وذلك أقصى منال العقل في الفكر الفلسفي.

لكن الإدراك العقلي عند الشيخ الحرالي، وهو نور من الحق سبحانه، قد يتعالى عن موقفه ذاك بروح من أمر الله، فيبصر ما وراء المعقولات. ومن ثمة كانت المعاني كلها، التي يدركها العقل أو التي هي هبة من الحق سبحانه، مُنحصِرةً بين إحاطتين[64].

---

60. **نصوص من تفسير الحرالي**، ص:456.

61. **مخطوط حكم الحرالي**، ورقة [188/أ].

62. **نصوص من تفسير الحرالي**، ص:238.

63. **العقل والوجود، ص**:15.

64. الإحاطة كما يحدد مفهومها الشيخ الحرالي هي أمر من أمر الله تعالى، وهو سبحانه المحيط بكلماته وحكمته، فما من حكمة وسبب إلا أمره من ورائها من حيث يناله شعور أو لا يناله. **اللمحة**، [68/أ] .

الأولى: إحاطةٌ عليا باطنة؛ هي أنهى ما تَعْنُو إليه القلوبُ، وتقفُ دون مَناله العقولُ؛ وبِوَقْفَةِ الإدراكِ دونَه، كان معقولاً. فإنَّ مُنتهى مَدرَكِ ما في الجبلات من الإدراك هو العقل، فلا يَتَعالَى الإدراك عن موقِفِه إلا بِرُوْحٍ من أمر الله، أدناه الهدايةُ والإيمان.

والثانية: إحاطة دنيا ظاهرة؛ فكما أنَّ لتنزُّلِ مُدرَكِ العقل حدًّا أدنى هو نهايةُ مُدرك الحواس، ولأدنى مُدرَك الحواسِّ حدٌّ يقف عنده الإدراك لا يَتنزَّلُ أيضا عنه إلا بدُنوٍّ تَدَلٍّ من حُبِّ الله، كما لم يَترقَّ عن حدِّ موقفِ العقل إلا برُوْحٍ من أمر الله[65].

وانحصار المعاني بين الإحاطة العليا الباطنة والإحاطة الدنيا الظاهرة، ترسمه جوامع حدودها الخمسةُ، كما بينها الشيخ، وهي :

- حَدَّان لمسافة مُدْرَكِ الحواسِّ أدنى وأعلى.
- وحَدَّان لِمُنفَسَحِ مَدارك العقول أعلى وأدنى.

وحَدَّان هما حدُّ إحاطةٍ لِمُنتهى النهايتين من حدِّ عُلوِّ العقل، وتنزُّل الحسِّ، له نفوذٌ في باطن مسافةِ الحسِّ، ومُنفَسَحِ العقلِ، فهو حدٌّ واحدٌ مُحَارٌ للعقل، غيبٌ عن الحسِّ، إليه المَطْمَحُ، والمعنى الذي إليه يُعنَى، إمَّا إحاطة على السواء، وإمَّا من جوامع تفصيل الوجود علوًّا، وإمَّا من إحاطةِ مُتنزَّلِه دُنُوًّا[66].

والواقع أن هذه الحدود، التي رسمها الشيخ الحرالي للمعاني، تتوقف على الرؤية، حسية وقلبية، إذ «كلُّ ما وقعت فيه الحدود تناله الرؤية. وما ارتفعت عنه الحدود فهو من وراء الرؤية[67]. ومن ثم كانت «الرؤية على حدود العلم، وليس على حدِّ المعرفة رؤية إنما عليها وجود»[68].

65. **اللمحة في معرفة الحروف**، ورقة [16 و 17 ب].
66. **اللمحة**، ورقة [16/ب].
67. **مخطوط حكم الحرالي**، ورقة [177/ب].
68. **مخطوط حكم الحرالي**، ورقة [177/ب].

سابعا ـ العقل والمعنى القرآني

وكان الشيخ الحرالي يدرك أنَّ الخطابَ نبأٌ يُطابقُ الإدراكَ. فالخطابُ بين الْمُتَّحِدَيْن في الإدراك يُطابقُ معناه نَبأَهُ، وبين الْمُتفاوِتَيْن في الإدراك، إما تَنزُّلاً بحسَب حال الْمُخَاطَب الأدنى، وعليه وَرَدَ خطابُ الكتبِ السالفةِ، وخطابُ التفصيلِ في الفرقان. وإما إعلاءً للأدنى الْمُخاطَب إلى عُلوٍّ مِن عُلوِّ الأعلَى الْمُخاطِبِ، وعليه الخطابُ بالحروف للمُعَلِين في خطاب القرآن[69]. وكان الشيخ الحرالي يدرك كذلك أن المعنى في خطاب القرآن معنى كلي مطلق لا يحاط به، وليس سواء في الإدراك، فبين مدلول الاسم (اللفظ) وغاية الحقيقة ينساب المعنى، والعقل بأطواره السالفة يقتنص بعضا منه. المعنى، في خطاب القرآن، طبقات بعضها فوق بعض، يحف به النور والجمال والجلال والكمال من كل جانب. المعنى لمحةٌ، وتصريحٌ متفرعٌ إلى تفصيل أو حكم؛ فسورة البقرة ـ مثلا ـ «تنتظم جوامعها خلال تفاصلها انتظاما عجيبا، يليح المعنى لأهل الفهم، ويفصله لأهل العلم، ويحكم به على أهل الحكم»[70].

> العقل أو قل ظاهر العقل يدرك إفصاح الخطاب، وإفهام الخطاب يحصله روح العقل.

ثامنا ـ المعنى القرآني كلي جامع لنبأي الإفصاح والإفهام

ومن ثم كان المعنى القرآني كليًّا جامعًا لنبأي الإفصاح والإفهام. هذا الجمع يتناغم، حسب نظر الشيخ الحرالي، وقانون التقابل السار في الكون، وفي حياة الإنسان النفسية والاجتماعية، وفي كل متقابلين من خلق الله تعالى وأمره، وأكثر ما يتجلى ذلك في المتقابلات «فيما بين دنيا العبد العاجلة، والأخرى الآجلة، وكذلك فيما بين هداه وإضلاله، وفتنته ورحمته، وبين كل متقابلين من خلقه وأمره، وكذلك فيما بين آيات الاعتبار من أمر الخلق، ومعتبراتها من أمر الحق، ولا يكاد هذا النحو من البيان يقع شيء منه في بيان الخلق، ولا بلاغتهم، إلا نادرا؛ لمقصد اللحن به، والإلغاز بإفهامه، فمتى أنبأ عنه تعالى، أخذ الفاهم مقابل ما يتلو إفصاحا في قلبه عن العبد مفهوما... وأما ما يقع

69. **اللمحة في معرفة الحروف**، ورقة [92/أ].

70. **نصوص من تفسير الحرالي**، ص:349.

فيه الإفهام في متقابلات ظاهرة يقع البيان عن أحدها إفصاحا، ويلازمه الآخر إفهاما، فربما وقع لآحاد من بلغاء العرب نظيره، وهو في القرآن كثير، وفي بلاغات العرب قليل»[71].

العقل، في تصور الحرالي، مدرك معنى الخطاب إفصاحا وإفهاما.

فإفصاح القرآن هو «إعلانه للأسماع الواعية»[72] أي هو بيانه الذي سمعته الأذن الواعية. والأذن الواعية هي «أذن عقلت عن الله تعالى، يعني عقل عن الله ما سمعت أذناه، مما قال وأخبر»[73]؛ لأن أحدا لا يسمع إلا ما عقل[74].

وإفهام القرآن هو «إسراره للقلوب الفهمة»[75]، أي هو ما يخفيه بيان القرآن من أسرار الحِكم، ودقائق الإشارات، ولطائف المعاني، يلمحها»الذين لهم لب العقل، الذي للراسخين في العلم ظاهره«[76] وهم المدركون لإفصاح الخطاب.

الإفصاح مشعر أبدًا بإفهام، وتلك قاعدة مطردة في نظم القرآن عند الشيخ. فخطاب القرآن، مثلا، لبني إسرائيل في قوله تعالى: ﴿يَٰبَنِيٓ إِسْرَٰٓءِيلَ ٱذْكُرُواْ نِعْمَتِيَ ٱلَّتِيٓ أَنْعَمْتُ عَلَيْكُمْ وَأَنِّي فَضَّلْتُكُمْ عَلَى ٱلْعَٰلَمِينَ﴾ (البقرة: 121) لبعده بالتقدم ـ فيما يقول الحرالي ـ كرره تعالى إظهارا لمقصد التئام آخر الخطاب بأوله، وليتخذ هذا الإفصاح والتعليم أصلا لما يمكن أن يرد من نحوه في سائر القرآن، حتى كأن الخطاب إذا انتهى إلى غاية خاتمة، يجب أن يلحظ القلب بداية تلك الغاية فيتلوها ليكون في تلاوته جامعا لطرفي البناء، وفي تفهمه جامعا لمعاني طرفي المعنى[77].

إن أحكام القرآن وحدوده في منطوق تلاوته، وليس في خفي إفهامه. خطاب الإفصاح تام الدلالة في البيان والبلاغ، «وذلك لأن الله عز وجل إذا تولى إبانة عمل

71. الحرالي، **مفتاح الباب المقفل لفهم القرآن المنزل**، ص:31.
72. الحرالي، **مفتاح الباب المقفل لفهم القرآن المنزل**، ص:31.
73. الحارث المحاسبي، **العقل وفهم القرآن**، ص:211.
74. **نصوص من تفسير الحرالي**، ص:516، 331.
75. **مفتاح الباب**، ص:31.
76. **نصوص من تفسير الحرالي**، ص:158.
77. **نصوص من تفسير الحرالي**، ص:259.



أنهاه إلى الغاية في الإفصاح»[78]. ولكن ثمة معان عميقة لا متناهية كامنة في خطاب القرآن تتجاوز الإفصاح، ويتضمنها الإفهام، لما قد علم من أن إفهام القرآن أضعاف إفصاحه، بما لا يكاد ينتهي عده، فلذلك يكثر فيه الخطاب عطفا، أي على غير مذكور، ليكون الإفصاح أبدا مشعرا بإفهام يناله من وهب روح العقل من الفهم، كما ينال فقه الإفصاح من وهبه الله نفس العقل الذي هو العلم[79].

ولا تكمن دلالات الإفصاح والإفهام عند الشيخ الحرالي داخل النص القرآني في صورة خطية تقابلية فحسب، بل تتداخل وتنتشر على امتداد وحدات النص الكريم الكبرى والصغرى، حسب مقتضيات بيانية وجمالية، وأيضا حسب مقتضيات سياقية. فالعطف مثلا يكثر وروده في نظم القرآن لِما له من أثر عظيم في تبين إفهام الخطاب من إفصاحه، من ذلك مثلا العطف في قوله تعالى: ﴿وَإِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلَٰٓئِكَةِ إِنِّي جَاعِلٌ فِي ٱلْأَرْضِ خَلِيفَةً﴾ (البقرة: 29) عطف على ما تقدم إعلاما لابتداء المفاوضة في خلق آدم، عطفا على ذلك الذي يعطيه إفهام هذا الإفصاح، فلذلك قال تعالى: ﴿وَإِذْ﴾ فإن الواو حرف يجمع ما بعده مع شيء قبله إفصاحا في اللفظ وإفهاما في المعنى، وإنما يقع ذلك لمن يعلو خطابه ولا يرتاب في إبلاغه[80].

وهكذا يبدأ إدراك المعنى عند الشيخ الحرالي بإدراك ظواهر القرآن إلى أقصى ما تحتمله هذه الظواهر من احتمالات مؤيدة، حتى إذا انتهى إلى غاية خاتمة، تجاوزها إلى ما وراء ذلك من إفهام .. وتلك قمة الفهم الجامع بين مباني الألفاظ تلاوة، وبين عميق معانيها تدبرا وتفهما. وذلك «ليجري الظاهر على حكمته في الظهور، ويجري الباطن على حكمته في البطون، إذ لكل آية منه ظهر وبطن»[81].

إن جمع القرآن لنبأي الإفصاح والإفهام، في نظر الشيخ الحرالي، خاصية من خواص نظمه المعجز، وطريقة فريدة في بيانه العالي. ولا يرجع ذلك إلى منهج التفسير والفهم. فقها الإفصاح والإفهام متلازمان في خطاب القرآن، لا ينفك أحدهما عن

78. نصوص من تفسير الحرالي، ص:369.

79. نصوص من تفسير الحرالي، ص:404.

80. نصوص من تفسير الحرالي، ص:186.

81. نصوص من تفسير الحرالي، ص:344.

الآخر، ففي الآية الكريمة ﴿فَإِنْ خِفْتُمْ فَرِجَالًا أَوْ رُكْبَانًا فَإِذَا أَمِنتُمْ فَاذْكُرُوا اللَّهَ كَمَا عَلَّمَكُم مَّا لَمْ تَكُونُوا تَعْلَمُونَ﴾ يفهم منها إفصاحا أحكام هيئة الصلاة في الأعضاء والبدن، وحالها في النفس من الخشوع والإخبات والتخلي من الوسواس، وحالها في القلب من التعظيم والحرمة. وفي إشارته ما وراء ظاهر العلم من أسرار القلوب التي اختصت بها أئمة هذه الأمة»[82]. يفهم من الآية، إذن، أحكام شرعية تخص الصلاة، تتعلق بأعمال الجوارح وأعمال القلوب، ويوحي نظمها بما يفيد أن وراء هذا العلم، فهما يهبه الله تعالى بحسب المحبة والعناية، للمحسنين والموقنين، كما يدل عليه قوله تعالى: ﴿كَمَا عَلَّمَكُم مَّا لَمْ تَكُونُوا تَعْلَمُونَ﴾.

وفي قوله تعالى: ﴿فَإِذَا تَطَهَّرْنَ فَأْتُوهُنَّ مِنْ حَيْثُ أَمَرَكُمُ اللَّهُ﴾ (البقرة: 220) خطاب إفهام، وفي قوله عَزَّوَجَلَّ: ﴿نِسَاؤُكُمْ حَرْثٌ لَّكُمْ﴾ (البقرة: 221) خطاب إفصاح. قال الحرالي: ليقع الخطاب بالإشارة أي في الآية الأولى لأولي الفهم، وبالتصريح في هذه لأولي العلم، لأن الحرث، كما قال بعض العلماء، إنما يكون في موضع الزرع[83].

إن إفهام معنى الخطاب لا يصار إليه في تفسير الحرالي من دون إفصاحه. بعبارة الغزالي «لا مطمع في الوصول إلى الباطن قبل إحكام الظاهر»[84]. تبين معنى الخطاب في تفسير الحرالي فعل شاق ينفذ من إفصاح الدلالة إلى إفهامها، همه الإضافة لا الثغرة. همه الإيحاء لا المطابقة العقلية التي أهمت المتكلمين والفلاسفة والبلاغيين الذين أسرهم المنطق الأرسطي.

العقل أو قل ظاهر العقل يدرك إفصاح الخطاب، وإفهام الخطاب يحصله روح العقل. فقه الإفصاح الوسيلة إليه الحس وظاهر العقل أو قل السمع الواعي. وفقه الإفهام الوسيلة إليه لب العقل أو قل القلب الفهم. فالأول علم والثاني فهم . وشتان ما بينهما «لأن العلم من العقل بمنزلة النفس، والفهم من العقل بمنزلة الروح، فللفهم

82. نصوص من تفسيره، ص:417.

83. نصوص من تفسيره، ص:395.

84. إحياء علوم الدين، 381/1.

مدرك لا يناله العلم، كما أن للروح معتلى لا تصل إليه النفس، لتوجه النفس إلى ظاهر الشهود ووجهة الروح إلى علي الوجود»[85].

العقل في مفهومه الواسع عند الشيخ الحرالي مصدر العلم والفهم، لكن منال الفهم لا يدركه العلم، كما أن للروح منال يعز عن النفس ؛ إذ «نزوع النفس لسفل شهواتها، في مقابلة معتلى الروح لمنبعث انبساطه، كأن النفس ثقيل الباطن بمنزلة الماء والتراب، والروح خفيف الباطن بمنزلة الهواء والنار، وكأن العقل متسع الباطن بمنزلة اتساع النور في كلية الكون علوا وسفلا»[86].

> الاستضاءة بنور العقل في قراءة خطاب القرآن لها، في تصور الحرالي، حدٌّ، هو حدُّ فَوْتٍ.

العقل، في تصور الحرالي، مدرك معنى الخطاب إفصاحا وإفهاما؛ إذ قد جعل الله «العقل الذي هو نور من نوره هدى لمن أقامه من حد تردد حال الناس إلى الاستضاءة بنوره في قراءة حروف كتابه الحكيم[87]. ويبقى بعد هذا أن المعنى القرآني أشمل وأعمق من أن يحيط به قطعا علم أو فهم. فمحال أن يحيط النسبي بالمطلق؛ «فلم تكن الإحاطة بالتأويل المحيط إلا لله سبحانه وتعالى»[88].

تاسعا. المعنى القرآني بين ما هو نيل وما هو فوت

والاستضاءة بنور العقل في قراءة خطاب القرآن لها، في تصور الحرالي، حدٌّ، هو حدُّ فَوْتٍ. ذلك لأن المعنى في الخطاب منه ما هو نيل، ومنه ما هو فوت. فما هو نيل محل إدراك الحس والعقل. وما هو فوت محل محار للعقل، غيب عن الحس. فهو «مُنتهَى الإدراك، ومبدأُ المَحار، فلا يُنالُ ما وراءهُ بوسيلةِ حكمةٍ، ولا ينالُه إدراكُ عقلٍ، بل العقلُ إنما كان عقلاً، لأنه عقالُ ما وراءه»[89]. ففي قوله عَزَّوَجَلَّ: ﴿لَن نُّؤۡمِنَ لَكَ حَتَّىٰ نَرَى ٱللَّهَ جَهۡرَةٗ﴾ (البقرة: 54) يبين الشيخ الحرالي أن هذا المطلوب مما

85. نصوص من تفسير الحرالي، ص:266.
86. نصوص من تفسير الحرالي،ص:238.
87. نصوص من تفسير الحرالي، ص:304.
88. نصوص من تفسير الحرالي، ص:515.
89. اللمحة في معرفة الحروف، ورقة [70/أ].

لا يليق بالجهر، لتحقق اختصاصه بمن يكشف له الحجاب، من خاصة مَن يجوّزه القُرْبُ، من خاصة مَن يقبل عليه النداء، من خاصة من يقع عنه الإعراض، فكيف أن يطلب ذلك جهرًا، حتى يناله مَن هو في محل البعد والطرد! وفيه شهادة بتبلدهم عن موقع الرؤية، فإن موسى عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ قال: ﴿رَبِّ أَرِنِيٓ﴾ (الأعراف: 143)، وقال تعالى: ﴿وُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ نَّاضِرَةٌ ۝ إِلَىٰ رَبِّهَا نَاظِرَةٌ﴾ (القيامة: 21ـ22)، وقال عليه الصلاة والسلام: «إنكم ترون ربكم»[90] فالاسم المذكور لمعنى الرؤية إنما هو الرب، لما في اسم (الله)، تعالى من الغيب الذي لا يذكر لأجله إلا مع ما هو فوت، لا مع ما هو في المعنى نيل[91].

> نبأ الحق عن نفسه لا تناله عقول الخلق، ولا تدركه أبصارهم.

ولذلك كان «من نهاية فَوْت مَنالِ ما يُعبِّرُ عنه حرفُ الألفِ ظهَر في الأسماء العُلى اسم الله، فهو ألف الأسماء التي عَجزتِ العقولُ عن نَيْلِ فَوْتِهِ، وأقرَّتِ الفِطرُ والجِبلاتُ بالأحديّةِ له والإحاطة. فلم يَتطرَّق إليه اشتراكٌ، ولا نال التسميةَ به بحقٍّ ولا باطلٍ خَلقٌ، ومتى رجع إليه بكُلِّيَّةِ أمرٍ لم يبق للخلق في دفعه دعوَى مُستطاعٍ، ولا رَدٌّ. فهو العليُّ المُحيطُ القائمُ الأحَدُ، وهو اسمٌ مُظهَرٌ، مُضْمَرُهُ هو، وهو اسمٌ مُضمَرٌ مُنتهى إشارته بتوسُّل فتحِ واوِهِ حرفُ الألفِ، فوقف عنده البيانُ وعَجزَ النُّطقُ. ولمَّا كان لهذا الفوتِ العليِّ في الأسماء العُلى بيانٌ، عَجزَتْ عنه نهايةُ مَدرَكِ الخلقِ، الذي هو العقلُ، اقتضى اللُّطفُ في تنزيل البيان ظهورَ آياتٍ بإظهارِ أمر الخلافة في الخلق، بحُكمٍ إحاطةٍ في العلم، وتَفنُّنٍ في التَّصرّفِ، وإقامة أمر الجميع»[92].

ومن قبيل ما هو فَوْتٌ كلما تُفي القرآن الكريم معانيها مبهمة، وهي التي تعرف بالمتشابهات، وهي الكلمات التي «أخبر الحق سبحانه وتعالى فيهن عن نفسه، وتنزلات تجلياته، ووجوه إعانته لخلقه، وتوفيقه، وإجرائه ما أجرى من اقتداره وقدرته في بادي

90. صحيح البخاري، كتاب مواقيت الصلاة، باب: فضل صلاة العصر، حديث رقم: 554. وصحيح مسلم، كتاب المساجد ومواضع الصلاة، باب: فضل صلاتي الصبح والعصر والمحافظة عليهما، حديث رقم: 634.

91. **نصوص من تفسير الحرالي**، ص:219ـ220.

92. **اللمحة في معرفة الحروف**، [17/ب].

ما أجراه عليهم، فهن لذلك متشابهات، من حيث إن نبأ الحق عن نفسه لا تناله عقول الخلق، ولا تدركه أبصارهم، وتَعرَّف لهم بمُثُل من أنفسهم»[93].

من ذلك أسماء الله الحسنى، فمنها ما هو معلومٌ لخليقته من خليقته بما أتاهم منه كالرحيم والعليم. ومنها ما يعجز عنه خلافتهم كاسمه المحصي، ولكن تَنالُ مَثَلاً منه عقولهم. ومنها مالم يَنلْهُ العلمُ، ولا أدركت مِثْلُه العقول، وهو اسمه الأحد[94]. وفي التحقيق أنه «لما كان حرف المتشابه إخبار الحق عن نفسه، بما تعرف به لخلقه، من أسماء وأوصاف، كانت قراءته أن يتحقق العبد أن تلك الأسماء والأوصاف ليست مما تدركه حواس الخلق، ولا مما تناله عقولهم، وإن أجرى بعض تلك الأسماء والأوصاف على الخلق، فبوجه لا يلحق أسماء الحق، ولا أوصافه منها، تشبيه في وهم، ولا تمثيل في عقل ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِۦ شَيْءٌ﴾ (الشورى: 9)، ﴿وَلَمْ يَكُن لَّهُۥ كُفُوًا أَحَدٌۢ﴾ (الإخلاص: 4)»[95].

ولذلك يقرر الإمام الحرالي أن «الأحق بمجرى (هذه) الكلم وقوعها نبأ عن الأول الحق، ثم وقوعها نبأ عما في أمره وملكوته، ثم وقوعها نبأ عما في ملكه وإشهاده، فلذلك حقيقة اللفظ لا تصلح أن تختص بالمحسوسات البادية في الملك دون الحقائق التي من ورائها من عالم الملكوت، وما به ظهر الملك والملكوت من نبأ الله عن نفسه من الاستواء ونحوه»[96].

ومفهوم عبارة الحرالي «فلذلك حقيقة اللفظ لا تصلح أن تختص بالمحسوسات البادية في الملك (أي عالم الشهادة) دون الحقائق التي من ورائها من عالم الملكوت (أي عالم الغيب). (يرجع إلى طبيعة اللغة من حيث هي نسق من الرموز والبنيات التصورية، «فلا يمكن أن يطلب منها الخروج عن وصفها الرمزي والصوري لتنقل إلينا الأشياء ذاتها بسماتها الخارجية ومعالمها الوجودية»[97]. ولئن صدق هذا عن عالم الشهادة، فلأن

93. **نصوص من تفسير الحرالي**، ص:509.

94. **شرح أسماء الله الحسنى الحرالي**، ورقة [81/أ].

95. الحرالي، **عروة المفتاح**، ص:113، 86. ضمن تراث الحرالي في التفسير.

96. **نصوص من تفسير الحرالي**، ص:184.

97. طه عبد الرحمن، **العمل الديني وتجديد العقل**، المركز الثقافي العربي-الدار البيضاء ط.3، 2000م، ص:26.

يصدق عن أسرار عالم الملكوت أحرى، وأولى. ذلك أن معان الكلمات القرآنية المتعلقة بعالم الغيب «معان عالية ضاقت عن إيفاء كنهها اللغة الموضوعة لأقصى ما هو متعارف أهلها. فعبر عن تلك المعاني بأقصى ما يقرب معانيها إلى الأفهام»[98].

والتماس معاني تلك الكلمات من طريق التأويل العقلي يشوبه كثير من الاضطراب، والتكلف، والابتداع، وتحريف الكلم عن مواضعه. «وذلك لأن التأويل، في نظر الإمام الحرالي، يحمل على الإضمار والتقدير، والفهم يمنع منه، ويوجب إيراد القرآن على حده ووجهه»[99]. وهو الفهم الذي لا يصور المعاني ولا يجردها، وإنما يشير إليها ويقربها.. بناء على أنه «ليس تستحق الظواهر حقائق الألفاظ على بواطنها، بل كانت البواطن أحق باستحقاق الألفاظ وبذلك يندفع كثير من لبس الخطاب على المقتصرين بحقائق الألفاظ على محسوساتهم»[100]. أي على الحس وظاهر العقل، وهم الذين جنحوا إلى إخضاع المعنى القرآني إلى الدليل العقلي.

تلك نُبذةٌ من مسألة العقل والمعنى وإشكالاتها كما أثارها فكر العلامة الحرالي المراكشي. كان القصد من جمع نصوصها وتحليل قولها وآرائها، الكشف عن أفق في الفهم، كان زاخرًا برؤى إبداعية، ونظرات ثاقبة، بُنيت على أساس الصلة الوثيقة بين المعنى وإحاطته، والعقل وترقيه في كمالات التعقل، الذي هو في مُحصِّلته حظُّ المرء من الإسلام والإيمان والإحسان، وعلاقة كل أولئك بإدراك الوجود ظاهرًا وباطنًا. وتلك مسألة تحتاج إلى مزيد بيان وتفصيل، والله عَزَّوَجَلَّ أسأل أن يوفقني إلى إبراز مكمن حقائقها، وامتداد فروعها.

98. الشيخ محمد الطاهر ابن عاشور، **تفسير التحرير والتنوير**، الدار التونسية للنشر، د.ت، 158/3.

99. **نصوص من تفسير الحرالي**، ص:314.

100. **نصوص من تفسير الحرالي**، ص:184.